والانسلال من خلال بعض أنماط الفكر التى يعايشها الإنسان، يصبح خائفا من نفسه، ومن الآخرين، ومن الحياة والمستقبل، ويعبر عن ذلك بانغماسه فى السكر وتعاطى المخدرات، والاستسلام للشهوات.. أو يعلن الحرب على غيره، ويترك نفسه لاعتقاد عقيم عن معنى القضاء والقدر..

الإنسان يجب عليه أن يكتشف بنفسه الفكر الذى يناسبه، لا أن يملى عليه فكر الآخرين، "فالقانون وضع من أجل الإنسان، لا الإنسان من أجل القانون" هكذا قال المسيح.. من استطاع منكم قهر الخوف، فهو ثائر، بل أقول نبى، وهؤلاء يبنون أنفسهم عادة، بشكل يخالف من حولهم. بعض الحضارات القليلة المباركة فقط هى التى تكفل حرية التطور، مستندة فى ذلك على احترام حقوق الإنسان، ذلك هو عين ما نريده نحن الأرواح المرشدة لهذا العصر، ما يهمنا هو خلق الإنسان، المواطن القادر على تحمل المسئولية أمام نفسه، قبل تحملها أمام الآخرين. القادر على تحديد طريقه إلى اللانهائى، المتفتح بحرية لخلق روابط من المحبة والتوافق مع جنسه، ومع الكون كله على المعنى الواسع، ذلك هو الإنسان الكبير، الكامل، المعنى بلفظ كلمة "الإنسان".

لولا التعلم، والألم، والمعاناة عبر القرون المتعاقبة، ما كنا وصلنا إلى هذه الدرجة من الطموح.. لا يفرق بين الإنسان المحبط المعرض لقسوة القدر، وعنف الطبيعة، وبين أخيه صاحب الضمير المستيقظ، الذى يتقرب ويتأمل بصفاء الوجود الإلهى، إلا حاجز العناية، والبركة، والرحمة..

"ستكسب حياتك بثمن آلامك" ليست هذه محاولة لتبرير الألم، ولكن إذا كان الوعد بالحياة نعمة وبركة، فلا شىء يدعو للإعجاب بالألم، أو بالفوضى العارمة للطبقات الدنيا من الطبيعة. الحياة تؤهل كل إنسان لما هو أهل له دون أى إضافة للألم، خصوصا للآخرين. نحن نشفق من قول بعض النفوس الكبيرة: "يجب أن يتجرعوا الألم فذلك خير لهم"، إنما نفضل من يفكر ويقول: "إن الطريق إلى الله شاقة وأنا أدعوه طلبا للعون".. لا فرض للمستحيل على أحد، ولكن من يملك القلب الطاهر، الصافى سيتحصل على العون المناسب..